حركة المطُرفْ بن المغيرة بن شعبة وأثرها على النظام الأموي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري (٧٦هـ/٦٩٥م-٧٨هـ/٦٩٧م)

شهاب الشياب*

ملخـص

يهدف هذا البحث إلى الإجابة على سؤال مهم وهو "هل نجح المطرف بن المغيرة في ترسيخ أسس إصلاح سياسية في النظام الأموي خلال حركته المعارضة.

كان المغيرة بن شعبة من الأعلام البارزين في ولائهم لبني أمية، لاسيما وأنه يرتبط بعلاقة مصاهرة مع أبي سفيان زعيم وقائد قريش في حروبها ضد النبي صلى الله عليه وسلم، وبالأخص بعد وفاة عمه أبو طالب حتى فتح مكة سنة (٨هـ/٦٢٨م) ثم اسلم. وجاء تعيين المطرف بن المغيرة، وأخويه (عروة، وحمزة) تمشياً مع هذه العلاقة في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٥م).

وقد قام المطرف بحركة سياسية معارضة للسياسة الأموية، وقد أثرت هذه الحركة (الثورة) على النظام السياسي الأموي وعلى مسيرة المطرف نفسه وقد دفع حياته ثمن هذه الحركة، وكان من ابرز مظاهر الإصلاح:

١. دعوته إلى تطبيق مبدأ الشورى في اختيار الخليفة.
٢. تنفيذ ما وعد به من خلال السماح للناس من المعارضين وغير المعارضين من حرية التعبير والاختيار.

الكلمات الدالة:

الفيء: هو كل مال وصل من المشركين إلى المسلمين من غير قتال. يصرف خمسه حسب الآية الكريمة: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)[١]. أما الأربعة الأخماس فتصرف على الجند والأعمال الحربية وغيرها حتى دون عمر الدواوين. وعين أرزاق الجند، فأصبحت الأموال المنقولة توضع في بيت مال المسلمين، أما الأراضي (الأموال الغير منقولة) فأبى عمر قسمتها بين المقاتلين، وأبقاها ملكاً للدولة، ويدفع المستغلين لها خراجاً عليها.

الجبرية: إن الإنسان مجبور ولا اختيار له ولا قدرة ولا فعل لأحد غير الله تعالى. ونادى بهذا المذهب جهم بن صفوان. وهذا المعنى يعزز سلطان الأمويين على الناس ويبرر أعمالهم. وقد نادى به معاوية ابن أبي سفيان (٤٠هـ/٦٦١م-٦٠هـ/٦٨٠م) به وبما يخص الملك، فقال: "ما هو إلا من قريش"، وقال: "بنى هذا الملك عليهم وجعل الخلافة بينهم ولا يصلح ذلك إلا عليهم، وهو عكس مذهب الاختيار".

* قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك. تاريخ استلام البحث ٢٠٠٨/٤/٧م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٨/٩/١١م.

١. سور الحشر: آية ٧.

القراء: هم الذين يتلون القرآن ويتدارسونه. ظهر نشاطهم في عهد عمر بن الخطاب، فقد سأل أبو موسى الأشعري، الذي كان من القراء عمر أن يبعث معه جماعة من الصحابة يعلّمون الناس دينهم، ويزيد من عطائهم فاستجاب عمر بذلك، مما شجع كثيراً من الناس على الانصراف لدراسة القرآن وتلاوته. وهم مقاتلون، وزعماء سياسيون. ولهم دور أساسي في قضية التحكيم، وخرج بعضهم على علي، لأنه قبل التحكيم، وسموا فيما بعد بالخوارج[٢].

الروافض: وقد سموا بذلك لرفضهم أبي بكر وعمر وخلافتهما، والطعن عليهما وكان زمن ظهورهم بعد رفضهم الاستمرار بثورة زيد بن علي بن أبي طالب على الكوفة (١٢١هـ/٧٣٨م). ولما لم يوافقهم زيد على اعتقاداتهم سماهم روافض. وقالوا بالنص على إمامة علي بن أبي طالب، وكل إمام يوصى من يخلفه[٣].

الخوارج: هم أتباع نافع بن الأزرق (٦٥هـ/٦٨٥م) واليه نسبتهم من أهل البصرة، وهم أكثر تطرفاً بمبادئهم من غيرهم. وقالوا في الخلفاء الراشدين والأمويين كفاراً وكذلك جماعة المسلمين كفاراً. وعندما أعلن نافع براءته من المسلمين واعتبرهم مشركين، تفسيراً للآية "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن"[٤]، لذلك حرم المقام بين أظهرهم وولايتهم، وإجازة شهاداتهم، واكل ذبائحهم ومواريثهم، وقبول علم الدين عنهم.

الصفرية: هم أتباع عبدا بن الصفار (٦٠هـ/٦٨٠م). والصفرية لم يعتبروا المسلمين مشركين كما قالت الازارقة، وقالوا أحلت لنا دماؤهم وما سوى ذلك حرام، وقالوا يجب مقاطعة عامة الناس، فلا متاجرة ولا معاملة ولا مصاهرة معهم. ويرون أن الخلافة هي حق عام للمسلمين وليس لأسرة واحدة (قريش) فقط.

الأباضية: هم أتباع عبدا بن أباض (٨٦هـ/٧٠٥م). لذلك يأذنون لأتباعهم بالتعامل مع الناس. وقالوا: "إن عامة المسلمين براء من الشرك"، وقالوا أيضاً: "لا تحل لنا إلا دماؤهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا والأباضية بريط من الصفرية، والصفرية برئوا من الأباضية".

المطرف: قبيلته، أسرته: ينتسب المطرف بن المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن متعب بن قسي إلى قبيلة ثقيف[٥]، سكنت الطائف قبل ظهور الإسلام منذ زمن بعيد، وسادت الطائف كما سادت قريش مكة. وترتبط أسرة المغيرة بن شعبة مع أبي سفيان بن حرب بن أمية

---

٢. ابن سعد، أبو عبدا محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء، الجزء الخامس، دار صادر بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٣٤-٣٥.

٣. الرازي، فخر الدين، أبو عبدا محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٢٦.

٤. سورة البقرة: آية ٢٢١.

٥. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) انساب الأشراف، عدد الأجزاء ١٣، ج١٣، تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي، بإشراف مكتبة البحوث والدراسات في دار الفكر، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٣٤١؛ ابن حبيب، أبو جعفر بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي البغدادي، (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، المحبر، صححه ايلزة يختن شتيز، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، ص ٦٨.

برابطة المصاهرة، إذ تزوج المغيرة ببنتي أبي سفيان (أمنة، ميمونة)[٦] وقيل في رواية أخرى للواقدي- الذي نعته النسائي بالكذب- أنه تزوج بثلاث بنات لأبي سفيان، ولم يكن المطرف أحد أبناء تلك الزوجات، أما أمه جارية حامل كانت عند مصقلة بن هبيرة الشيباني، فأخذها المغيرة بمال كان له عليه فولدت له مطرفاً، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيما بعد، لو كان مطرف من ولد المغيرة ما خرج على السلطان[٧]. وبعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان (٢٤هـ/٦٤٤م-٣٥هـ/ ٦٥٥م)، ظهر المغيرة إلى جانب الأمويين دون بني هاشم اثر تولية علي من أبي طالب الخلافة (٣٥هـ/٦٥٦م-٤٠هـ/٦٦١م)، فقد رجع مع سعيد بن العاص الأموي، ومن معه من زعماء بني أمية في متابعة السير إلى البصرة التي حدثت فيها معركة الجمل سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) بين علي من طرف وطلحة والزبير ومعها عائشة زوج رسول ا صلى ا عليه وسلم في الطرف الآخر[٨]. وفي سنة (٣٧هـ/٦٥٨م)، كان المغيرة بن شعبة من شهود الحكمين بعد معركة صفين (٣٧هـ/٦٥٧-٦٥٨م) (وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري)، علماً بأن قبيلته تشترك إلى جانب معاوية[٩]، إن هذا الانحياز، بل التحالف مع بني أمية يعود للعلاقة التاريخية بين الأسرتين قبل الدعوة للإسلام وبعده، وتشمل المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، وربما السياسية.

فعلى الصعيد الاجتماعي، كان القرشيون يقضون الفصل الحار في الطائف (ثقيف)، (وج) لأنها منطقة مرتفعة وكانت تعتبر من نجد[١٠]، وبالمقابل فتحت قريش أبواب مدينتها للمشتغلين بالتجارة، ومختلف الأعمال المصرفية. واستمرت هذه العلاقة بعد الإسلام[١١] وإن حالات المصاهرة العديدة بين ثقيف، وخاصة أسرة المغيرة، كانت مؤشراً على وجود أملاك لبني أمية في الطائف وجوارها

٦. آمنة بنت أبي سفيان، فقد تزوجها المغيرة بن شعبة؛ البلاذري، أنساب الأشراف، برواية ابن الكلبي، ج ٥، ص ١١؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٠ أجزاء، ج١، راجعه محمد يوسف الرقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٥٤٢؛ ميمونة بنت أبي سفيان، تزوجها المغيرة بن شعبة، ابن حبيب، المحبر، ص ١٦٠.

٧. البلاذري" أنساب الأشراف ج ٧، ص ٤٠٥. انظر أيضاً ج١٣، ص٣٤٨، ٣٤٩.

٨. انظر الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك (١١ جزء)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ج٤، ص ٤٥٢.

٩. نصر بن مزاحم (ت ٢١٣هـ/٨٢٧م)، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٥٣٩-٥٤٠.

١٠. البكري، عبدا بن عبد العزيز البكري الاندلسي، (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والواضع، (٣ جزاء)، حققه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ج١، ص ١٠.

١١. انظر البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان. وضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٥٦٦-٥٧٩.

خاصة ولأثرياء قريش[١٢] عامة. أما على الصعيد الاقتصادي، فقد قدمت الطائف (ثقيف) لقريش الأراضي الزراعية التي أنتجت بعض السلع مثل الزبيب والفواكه بأنواعها[١٣]. وعلى الصعيد السياسي، فقد خرجت قريش وثقيف من حرب المواجهة أو المجابهة مع دولة الإسلام (الرسول ﷺ) في المدينة دون تدمير لكلتيهما.

ولعل اقتران اسم مكة والطائف في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي في القرآن الكريم، دليل على ذلك، قال تعالى: (**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**)[١٤]، والقريتان مكة والطائف والرجل الذي نزلت الآية فيه هو عروة بن مسعود الثقفي[١٥].

وعندما أصبح معاوية خليفة المسلمين سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) [١٦]، ومن رواية أخرى سنة (٤١هـ/٦٦١م) [١٧] حفظ للمغيرة دوره وميوله لبني أمية، فولاه الكوفة تسع سنين إلى أن توفي في شعبان سنة (٥٠هـ/٦٧٠م) بالطاعون[١٨].

نشأة مطرف بن المغيرة وتوليته على المدائن: لما كان المغيرة بن شعبة من أصحاب رسول ا ﷺ[١٩]، اسلم سنة (٦هـ/٦٢٦م)، وقدم المدينة مهاجراً. وشهد غزوة الحديبية (٧هـ/٦٢٧م) مع النبي ﷺ، وبايع بيعة الرضوان وبنوه تحت الشجرة[٢٠]، وكنّاه النبي ﷺ بأبي عيسى، وروى عنه أحاديث[٢١]، ومنها حديث بطابٍ من معاوية "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت"، وذلك لتثبيت سلطان قريش وتمشياً مع المذهب الجبري الذي ارتضاه معاوية، وكان بعض أبنائه من

---

١٢. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٢٦٦. وذكر زواج أم الحكم بنت أبي سفيان من ثقفي (عبدا ابن عثمان). ولدت له عبد الرحمن بن أم الحكم، ولاه معاوية الكوفة، وولاه الجزيرة والموصل ومصر. البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص ١١.

١٣. انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٩، الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبدا ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج٤، ص ١٢.

١٤. سورة الزخرف، آية ٣١.

١٥. انظر الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٩٨.

١٦. المقدسي، أبو زيد، أحمد بن سهل البلخي، (ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م)، البدء والتاريخ، ٦اجزاء، د.ن، د.م، ١٩١٦م، ج٦، ص١.

١٧. انظر الطبري، تاريخ، ج٥، ص ١٦٧.

١٨. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٣، ص ٣٤٤، الطبري، تاريخ، ج٥، ص ٢٣٢-٢٣٤،.

١٩. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٣، ص ٣٤٤؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٤٤٧.

٢٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٣، ص ٣٤٤.

٢١. انظر ابن سعد، أبو عبدا محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج٥، ص ٣٤-٣٥؛ صحيح البخاري، الإمام أبي عبدا محمد بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار الشعب، ج٢، ص ١١٧-١١٨.

التابعين الذين رووا الحديث عن أبيهم، مثل عروة[٢٢]، وحمزة[٢٣] وعفار[٢٤]. إلا أن مطرفاً كان خير عامل قدم على المدائن والياً (٧٦هـ/٦٩٥م) من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق (٧٥هـ/٦٩٥م) في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٥م-٨٦هـ/٧٠٥هـ) إذ كان أقمعهم لمريب وأشدهم إنكاراً للظلم"[٢٥]، وقبل تولية الحجاج له، كانت سيرته وإخوانه (عروة وحمزة) صلحاء نبلاء، أشرافاً في أبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم من قومهم[٢٦]. ولما قدم الحجاج إلى العراق (٧٥هـ/٦٩٤م) التقاه هؤلاء الأخوة وشافههم على أنهم رجال قومه وبنو أبيه[٢٧]، أما ابن الأثير فقد ذكر "ورآهم عِلم أنهم رجال قومهم"[٢٨].

وقبل تعيين مطرف (٧٥هـ/٦٩٥م) كان مطرف مع جيش عبد الرحمن بن الاشعث لمحاربة شبيب بن يزيد الخارجي (الصفري)[٢٩]، ولم يظهر ابن الأشعث البلاء الكافي كغيره من القادة الذين سبقوه في محاربة شبيب، لاسيما وأنه التجأ إلى الكوفة مستتراً إلى أن ُأخذ له الأمان من الحجاج[٣٠]، ثم اعتزله مطرف، وُأتي به الحجاج بعد ذلك فقال له الحجاج: "يا مطرف أكفرت، فقال: لم نبلغ ذلك، ولو نصرنا الحق وأهله لكان خيراً لنا"[٣١] لاسيما وأنه كان يتأله (يتعبد)، وكان يعتقد إنكار المنكر، ولا يبلغ قول الخوارج الأزارقة[٣٢]، لأن هؤلاء الخوارج (الأزارقة) يرون أن الأمويين وغيرهم من جماعة المسلمين كفاراً بل أشد كفراً من النصارى واليهود والمجوس[٣٣]. أما

---

٢٢. عروة، يكنى أبا يعقوب، وكأن أمير الكوفة بعد وفاة والده. ابن قتيبة، أبي محمد عبدا بن صالح ابـن مـسلم، (٢١٣-٢٧٦هـ/٨٢٨-٨٨٩م). المعارف، حققه د. ثروت عكاشة. ط٢، دار المعارف بمصر، ص ٢١١.

٢٣. حمزة، قال العجلي فيه: "هو تابعي، روى عن أبيه وعن بكر بن عبد ا المزي، العجلي، تاريخ الثقاة، ص ١٣٣.

٢٤. عفار، ذكر المزي، اسم عفار، انظر المزي، حافظ المزي جمال الدين أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال فـي أسـماء الرجال، ط١ (٣٠ مجلد)، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م، بيروت – لبنان، م٦، ص ٣٧٠.

٢٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٨، كأن هو وأخوته أحسن الناس سيرة وأشدهم على المريب.

٢٦. الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٤؛ البلاذري، (برواية هشام الكلبي عن أبي مخنف)، انساب الأشراف ج٧، ص ٣٩٧؛ ابن الأثير،الكامل، ج٤، ص ١٧٨.

٢٧. الطبري، (عن هشام الكلبي عن أبي مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بـن عمـرو، (ت ١٣٧٢هـ)، البداية والنهاية، ١٣٠ جزء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م، ج٩، ص ٧٩.

٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٨.

٢٩. شبيب بن يزيد (٢٥-٧٧هـ/٦٤٧-٦٩٦م) بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك، أحد كبار الثائرين على بني أميـة، كان داهية طماحاً إلى السيادة، الزركلي، خير الدين، الإعلام، ٨ أجزاء، ط٥، دار العلم للملايـين، بيـروت– لبنـان، ١٩٨٠م، ج٣، ص ١٥٦. وقال ابن قتيبية: إن صالحاً قد أوصى لشبيب قبل موته، (المعارف، ص ٢٣٢).

٣٠. الطبري، (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٥٥-٢٥٦.

٣١. البلاذري (برواية عبدا بن المبارك)، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٣٩٥.

٣٢. البلاذري (عن الهيثم بن عدي)، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٣٩٧.

٣٣. انظر انساب الأشراف، ج٧، ص ٤٣٠.

قوله: "ولو نصرنا الحق وأهله لكان خيرا لنا" فماذا يعني؟ أكان يعني أنه علي بن أبي طالب صاحب الحق، خاصةً وأنه سمع من أبيه المغيرة نصح معاوية بالمعاملة الحسنة لبني هاشم- علماً بأن مطرفاً كان يرافق أباه في دخوله على معاوية أحيانا- وقال المغيرة له يوماً: يا بني جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، وقد قلت له: فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فو ا ما عندهم اليوم شيء نخافه، فقال معاوية: "لا وا إلا دفناً دفناً"[٣٤]، وهذا القول يوافق سياسة المغيرة المرنة مع أنصار علي كحجر بن عدي الكندي[٣٥]. وفي رواية أخرى عن أبي اليقظان: كتب معاوية إلى المغيرة وهو على الكوفة "أن اظهر أمر علي وتنقصه. لكن المغيرة لم يوافقه على أمره، وقال له: ليس بينك وبين ذلك حاجز عن حلمك، ولا تجاوز بعفوك، فلست بأهل لما تنتسب إليه من الحلم"[٣٦].

يبدو من سماع المطرف نصائح أبيه لمعاوية في حسن المعاملة لبني هاشم، بل أحياناً كان يرفض أمر معاوية في الإساءة، لبني هاشم أن رأي المطرف كرأي أبيه، ويؤيد ذلك قول حكيم بن الحارث الأزدي الذي قال: "انك تشبه أباك في سيرته برضا ا والناس" والناس الذين يسكنون الكوفة معظمهم من أنصار علي، لأن الموالي يعدلوا نصف سكان الكوفة، والموالي هواهم وميولهم مع علي (بني هاشم) [٣٧].

لعل في مقتل حجر بن عدي من قبل معاوية بسبب معارضته للسلطة الأموية فيه حق، لأن الكوفة موطن الشيعة، والعراق موطن الشيعة والخوارج، وهذان الحزبان متحدان على كراهية وعداء بني أمية، رغم العداء بين الحزبين، كما أن أهل العراق تمتلئ بالقبائل من الجزيرة العربية واليمن وغيرها والتي تكره قريش، وعصبيتها موجه ضدها[٣٨].

ويبدو أن المعنى بأهل الحق، ليس ابن الأشعث لأنه اعتزله، وليس الخوارج الصفرية، لأنه قال: "لم نبلغ ذلك ولم يصبح خارجياً"، لاسيما وأن البلاذري قد نفى عن المطرف أن يكون من الخوارج، وقال عنه: "كان من القراء الذين اشتركوا في حرب ضد شبيب بن يزيد الخارجي

---

٣٤. ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة بن محمد بن الحسين المدائني، أبو حامد عز الـدين (ت ٥٨٦-٦٥٦هـ ـ/١١٩٠-١٢٥٨م)، من أعيان المعتزلة، شرح نهج البلاغة، (٢٠ جزء)، تحقيق محمد أبو الفضل، ط٢، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٧٦-١٧٧.

٣٥. حجر بن عدي الكندي، (٥١هـ/٦٧١م)، من كندة، صحابي، وفد على رسول ا وشهد القادسية، وكان مـن أصـحاب علي، وشهد معه وقعتي الجمل وصفين، سكن مع قبيلته الكوفة، وكانت تسانده ضد ولاة بني أمية، (المغيرة، وزياد بـن أبيه)، وقد حذره المغيرة مناوأة بني أمية، ولكنه أبى. أما زياد، فبعثه إلى معاوية فقتلـه. الطبـري، تـاريخ، ج٢، ص ٤٨٨، ٥٠٠.

٣٦. البلاذري، انساب الأشراف، ج١٣، ص ٣٤٦.

٣٧. الطبري، ج٦، ص ٢٨٤.

٣٨. انظر سيديو، تاريخ العرب العام، نقله إلى العربية عادل زعيتر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ملتزم الطبع والنشر أصـحاب دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، ص ١٦٦،

(الصفري)[٣٩]".

يبدو أن أهل الحق في رأي المطرف: (أن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يولون من ارتضوه على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب، فإن العرب إذا علمت أنه إنما يراد الرضا من قريش رضوا وقنعوا، فإنما الأئمة من قريش)[٤٠] وهذا الرأي يخالف رأي الخوارج الصفرية الذي يرون أن تكون الشورى بين عامة المسلمين، وليس حصراً في قريش، وهذا الرأي قاله المطرف عندما التقى مع وفد شبيب.

أما علاقته مع شبيب بن يزيد، أو آراء الصفرية يعود إلى القاسم المشترك بين رأيه ورأي الصفرية وهو رفض الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية. هذه الرؤية من الخوارج الصفرية شجعته على فتح باب الحوار معهم لمقاومة الجهاز الحاكم في العراق والشام.

والسؤال هنا لماذا قبل مطرف العمل مع الحجاج قبل مجيئه إلى العراق، خاصة وأنه يعرف نقضه لبنيان الكعبة، واستخافه بأصحاب رسول ا في المدينة من الحجاز سنة (٧٢هـ/٦٩١م)، فختم في أعناقهم، حتى قيل: أنه فكر ذات مرة من دك منازل المدينة[٤١].

يبدو أن مطرفاً لا يمانع من العمل مع السلطة الأموية، ولا يتردد من تركها إذا عرض عليه أمر فيه اقتراف إثم، كما فعل أخوه حمزة مع خاله عمر بن سعد بن أبي وقاص- عندما كلفه عبيد ا بن زياد بقتال الحسين بن علي- فرفض ذلك، مستنداً إلى النص في الهامش "ولو كانت الأرض كلها سلطاناً له وما فيها من أموال له"[٤٢]. كذلك لا يمانع من طلب المساندة من أي طرف للدفاع عن الحق.

أما من جهة الحجاج فقد يكون سبب تعيين مطرف وأخويه (عروة وحمزة) وغيرهم من قبيلة ثقيف لميول قبلية عنده، وتستدعي إنهاض قومه معه في عمله، بدليل تعيينه على المدائن، وتعيين حمزة على الكوفة (نائباً عنه)، والحكم بن أيوب الثقافي – ابن عم الحجاج على البصرة[٤٣]، والبراء بن قبيصة الثقفي على أصفهان[٤٤]، والمغيرة بن عبد ا الثقفي، ومحمد بن القاسم الثقفي قائدين من

---

٣٩. البلاذري، انساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٤.
٤٠. انظر المصدر السابق، ج٧، ص ٣٩٧.
٤١. انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ١٩٥.
٤٢. انظر الطبري (أبو محنف)، تاريخ، ج٥، ص ٤٠٩، فقال حمزة لخاله: "أنشدك ا يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك، وتقطع رحمك، فو ا لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان ذلك خير لك من أن تلقى ا بدم الحسين" قال عمر بن سعد، افعل أن شاء ا ، ولكنه لم يفعل. ولعل هذا من الأسباب التي حالت دون تمكن حمزة من الحظوة بمنصب رفيع الحظوة في عهد يزيد بن معاوية.
٤٣. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص٢٧٩؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص ٢٦٣؛ الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٠٩؛ ابن عبد ربه، أبو عمر بن محمد عبد ربه الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، ٦ أجزاء، شرحه أمين إبراهيم الأبياري، عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م، ج٤، ص ١١٣.
٤٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٩٤.

قواده[٤٥]، لاسيما وأنه علم أنهم رجال قومه وبنو (أبيهم)[٤٦]، أي أنهم خير من يوليهم تلك المهام او المناصب، لاسيما وأنهم أبناء المغيرة بن شعبة الموالي لبني امية.

لا شك أن هذا التعيين من رجالات ثقيف، هو من خيارات الدولة الأموية منذ تأسيسها، فالمغيرة كان من مساعدي معاوية العظام، وهو من رجال الدنيا، والعصبية القبلية عنده بالدرجة الأولى. وهو الذي أشار على معاوية بالبيعة ليزيد، وبهذا يكون رجل يتحين الفرص في سبيل مصلحته الشخصية على حساب الآخرين.

وبسبب هذه المكانة لهؤلاء (أبناء المغيرة) تنقاد قبيلته له وللدولة، خاصة وأن أخبار الولاة الموالين لبني أمية من مظاهر السياسة الأموية، نظراً للظروف السياسية المعادية للأمويين، أمثال ابن الزبير.

حركة المطرف وأسبابها:

إن قتل يزيد بن معاوية[٤٧] (٦٠هـ/٦٨٠م-٦٤هـ/٩٨٤م) للحسين بن علي (٦٣هـ/٦٨٢م)، سُمِح لعبدا بن الزبير في الثورة عليه، والتي بدأها بالدعوة بفكرة الشورى، ثم عاد وأعلن نفسه خليفة في رجب سنة (٦٤هـ/٦٨٤م) في شهر شباط/فبراير، كما أن سياسته المنحازة إلى اليمانية جعلت معظم قريش بالانضمام وتأييد ابن الزبير، بل جعل القيسية كلها تبايع لابن الزبير، وحدث من جراء ذلك معركة مرج راهط (٦٤هـ/٦٨٣م) بين القيسية واليمانية[٤٨] في زمن مروان بن الحكم (٦٤هـ/٦٨٤م). وانتصار اليمانية ولو حدث العكس لأصبح ابن الزبير الخليفة وعادت السلطة إلى بني أسد بن عبد العزى[٤٩]، كما أن العلويين والخوارج اتفقت على هدف واحد هو معارضة بني أمية، رغم العداء فيما بينها، هذه التيارات والفتن المتلاحقة لم يكن منها شيء أيام معاوية بن أبي سفيان، وإن هو أحيا العصبية القبلية القديمة، ومال إلى اليمانية، وتزوج من إحدى بطونها (كلب) لكنه استطاع أن يحفظ التوازن بينها[٥٠]. وقد أدرك عبد الملك بن مروان أن استمرار العداء القبلي بين القيسية واليمانية لم يعد في صالح الدولة، ولهذا حرص على إطفاء نار

---

٤٥. خليفة بن خياط، أبو عمر العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار. مطـابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٦م، ج١، ص ١٢٣.

٤٦. الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص ٧٩.

٤٧. الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٥، ص ٤١٤.

٤٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجـوهر، (٢ جزء)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج٢، ص ٦٧-٦٨، معركة بالجابية القريبة من دمشق بين الضحاك بن قيس والي دمشق لعبدا بن الزبير الذي كانـت تدعمه القيسية وبين مروان بن الحكم، وكانت تدعمه اليمنية وعلى رأسهم حسان ابن مالك الكلبي.

٤٩. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، طبعة جديدة، بإشـراف لجنـة تحقيـق التراث منشورات، دار مكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ١٩٨١م، ص ٢٦٦-٢٦٧.

٥٠. الطبري (أبو عبيدة)، تاريخ، ج٥، ص ٢٤٢، سياسة معاوية مع القبائل، ص ٣٠٠.

الفتنة بين قيس وكلب بعيد معركة مرج راهط[٥١].

أما المختار بن أبي عبيد (١-٦٧هـ/٦٢٢-٦٨٧م) فكان مع علي في العراق، وعندما قتُل الحسين سنة (٦١هـ/٦٨٠م) انحرف عن عبيد ا بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وسجنه، لكنه خرج من السجن بشفاعة عبدا بن عمر، وذهب إلى عبدا بن الزبير وبايعه، وجلس عنده خمسة شهور[٥٢]، ثم عاد إلى الكوفة أملاً في تزعم الشيعة، وهناك جمع من بقي من جيش سليمان بن صرد الخزاعي (قائد التوابين) في معركة عين الوردة (٦٥هـ/٦٨٥م). وابتدأ صدامه مع ابن زياد، وهزم جيشه وقضى عليه في معركة نهر الخازر سنة (٦٧هـ/٦٨٦م) [٥٣].

ولما اشتدت شوكة المختار في العراق، التي كانت تابعة لابن الزبير، وجه إليه أخاه مصعب بن الزبير، فتشب بينهما وقائع انتهت بقتله ومن معه في الكوفة سنة (٦٧هـ/٦٨٦م).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أظهرت حركة الخوارج الأزارقة - التي نّوهت عنها في البداية – استخدام القوة في مقاومة ومعارضة الدولة الأموية.

وفي سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) تحرك صالح بن مسرح التميمي زعيم الصفرية بأرض الموصل والجزيرة[٥٤]، وكان أمير الجزيرة آنذاك محمد بن مروان، فاستخف بهم وأرسل إليهم عدي بن عميرة، وكان عدد جيشه ألف مقاتل، ولكنه هُزم أمام صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد الخارجي (الصفري) الذي انضم إليه[٥٥]، ويعزى السبب على ما يبدو تقاعس أهل الكوفة فقد ذمهم الحجاج لذاك... وذكر سار إليه عدي كأنما يساق إلى الموت، عندئذ بعث الحجاج قائداً آخر هو الحارث بن عميرة فقتله، وقبل وفاة صالح اوصى لشبيب بقيادة الجيش أو زعامة الصفرية. الذي واصل القتال وانتصر على جيش الحجاج، فكان أول جيش هزمه شبيب[٥٦]، وتتالت بعد ذلك انتصارات شبيب في أرض الموصل حتى هزم خمسة قادة أرسلهم الحجاج لقتاله[٥٧]، منهم عبد الرحمن بن

---

٥١. الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص ٤١، (طبعة محمد الساسي).

٥٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٣٩٧؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٣٠٣؛ الطبري (أبو مخنف)، تـاريخ، ج٥، ص ٥٧٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٧٨.

٥٣. الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٥، ص ٥٩٥.

٥٤. انظر الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢١٥-٢١٧. صالح بن مسرح التميمي (٧٦هـ/٦٩٥م)، زعيم الصفرية، اول من خرج فيهم، يقيم في ارض دارا والجزيرة، كان رايه في عثمان، استأثر بالفئ وعطل الحدود وجار في الحكم.

٥٥. انظر الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٢٢-٢٢٣؛ عدي بن عميرة، الكندي الشيباني، قال لمروان: اتبعثني إلى رأس الخوارج، وقد خرج معه رجال من ربيعة والتي تقف ضد بني أمية لاسيما وانها تتحالف مع الأزد اليمنية وكـان جيشه بداية ٥٠٠ ثم زاده مروان خمسمائة أخرى، وسار كأنما يساق إلى الموت.

٥٦. انظر الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٢٢-٢٢٣. الحارث بن عميرة، ذي المشعار الهمداني. بعثه في ثلاثـة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، حتى أتى مدينة الدسكرة، واتبع صالح بن مسرح فقتله

٥٧. انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٢٦-٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥-٢٣٧، ٢٤٢-٢٤٤، ٢٥٠-٢٥٤.

الأشعث[٥٨].

ويعلل أبو مخنف في الطبري عن إسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسمي من اليمانية تقاعس أهل البصرة والكوفة عن عدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة، فقال: "كأنما يساقون إلى الموت"[٥٩]، مما جعل الحجاج يشعر بخطر الخوارج (الصفرية).

لذلك أرسل الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يطلب قوات من أهل الشام، "... أن شبيباً قد شارف المدائن، وإنما يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل...."[٦٠]. فلما أتى عبد الملك كتاب الحجاج بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف مقاتل، وبعث حبيب بن عبد الرحمن، الحكمي من مذحج في ألفين، كذلك جعل الحجاج أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب الخارجي، ولا يدرون من أميرهم، وذلك بعد أن خطبهم قائلاً: "وا لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع على اللاواء (الشدة) والغيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيئكم"[٦١]، فقام إليه الناس من كل جانب وقالوا: "نحن نقاتلهم، ونعتب الأمير، فليندبنا الأمير إليهم فإنا حيث سره"[٦٢].

يتضح من كلام الحجاج وقسمه على أهل الكوفة بالدفاع عن بلادهم وبالأخص عن الفيء الذي يحصلون عليه، وإلا صار بأيدي الخوارج الصفرية.

ومن القوى السياسية الدينية الأخرى التي كان لها أثر في مناهضة الأمويين جماعة القراء، الذين كان منهم جماعة الخوارج الذين ثاروا على علي بعد معركة صفين.

وهؤلاء القراء ربما يكونوا من الجيل الأول من أهل الأيام والقادسية الذين اختارهم خالد بن الوليد للحرب في العراق[٦٣].

ولم يكن أولئك القراء على درجة واحدة في معارضة الأوضاع القائمة وكان بعضهم – الحسن البصري – يرى إظهار الطاعة للحاكم الظالم، وإخفاء مخالفته اتقاء شره وبطشه[٦٤]، وبعضهم غاب

---

٥٨. انظر المصدر السابق والجزء، ص ٢٤٩.

٥٩. انظر الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٣٦.

٦٠. انظر المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٨-٢٥٩.

٦١. انظر المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٩. سفيان بن الأبرد الكلبي، بعثه الحجاج لقتال شبيب بن يزيد الخارجي، ومعه أربعة آلاف مقاتل،؛ الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٦٦؛ حبيب بن عبد الرحمن الحكمي، بعثه الحجاج بعد إرسال سفيان الكلبي في ألفين، فقتله قطري بن الفجاءة من الأزارقة.

٦٢. انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٥٨؛ أبن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد (٥٨٦-٦٥٦هـ/١١٩٠-١١٥٨م)، شرح نهج البلاغة، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٢، ص ٨٦.

٦٣. انظر الطبري (عن إسحاق الهمداني)، تاريخ، ج٤، ص ٣٢٦.

٦٤. وذكر ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن هبة بن عبدا الشافعي، (٥٧١هـ/١١٧٥م)، تهذيب تاريخ مدينة دمشق الكبير، ٦ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٣، ١٩٨٧م، ج٤، ص ١٦٨-١٦٩.

عليه التطرف، ويعتقد بوجوب مناهضة الظلم والمنكر والقائمين عليهما، الذي حدث في العراق في عهد الحجاج. ومن هؤلاء القراء في العصر الأموي الذين لم ينظموا إلى الخوارج مطرف بن المغيرة [٦٥]، ولكنه ثائر وبفكر سياسي مختلف. بدليل أن تحركه هذا كان رائداً لمن هو في موقعه فقال لأحد خاصته بكير بن هارون البجلي أن اخرج إلى الجيش الذي أرسله الحجاج فقال لهم: "أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة على إحداثهم، وندعوهم إلى كتاب ا وسنة نبيه، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين"[٦٦].

عبد الملك وأحقيته بالخلافة:

يرى عبد الملك أن الخلافة حق شرعي له، ولمن بعده من الأسرة الأموية، وليس لغيره الحق فيها[٦٧]، بدليل فقد روى البلاذري عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق قال: "ولما أراد عبد الملك الشخوص إلى الشام خطب الناس فعظّم عليهم حق السلطان، وقال لهم: "هو ظل ا في الأرض"، وذكر ابن الزبير وقال: " لو كان خليفة كما زعم لأبدي صفحته وآسى أنصاره بنفسه ولم يغرز ذنبه في الحرم". كما رأى غيره من خلفاء بني أمية السابقين (معاوية)، بل كان يعتقد أنه لا يوجد أحد من معاصريه أصلح للخلافة منه، ولا أولى بها منه[٦٨]، بدليل قوله في عبد ا بن الزبير الذي ادعى الخلافة في زمنه، وزمن أبيه مروان فقال: "لقد قمت في هذا الأمر (الخلافة)، وما أدري أحد أقوى عليه مني ولا أولى به"[٦٩]. وقد ظهر هذا الاعتقاد واضحاً في بداية معركة الجمل، عندما انبرى طلحة والزبير، (ومعهما عائشة زوج رسول (ص)) مطالبين بدم عثمان، وجعل الأمر شورى بين المهاجرين من قريش، فقال سعيد بن العاص المرواني: "أفتراني أسعى إلى إخراج الخلافة من بني عبد مناف (بنو أمية وبنو هاشم)"[٧٠]، والمقصود انه ليس لبني أسد ولا لبني تَيم حق في الخلافة، وإنما يجب أن تكون في ذرية عثمان وهذا التعصب الأموي الذي أظهره سعيد بن العاص وبعده معاوية بن أبي سفيان، عندما شرع في أخذ البيعة لابنه يزيد، في

---

٦٥. البلاذري، (هشام الكلبي)، انساب الأشراف، ج ٧، ص ٤٠٤.

٦٦. انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٩٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٩.

٦٧. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ١١١.

٦٨. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٨هـ/٩٠٠م)، تاريخ اليعقوبي ج٢، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص ٢٧٤؛ انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٤٢٢، وقال عبد الملك: "أن ابن الزبير لا يصلح أن يكون سائساً، وكأن يعطي مال ا كأنه ميراث أبيه".

٦٩. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٧٤.

٧٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٣، ١٠، وقعة صفين، ص ٥٢، وقال طلحة ردا على سعيد بن العاص "أندعها لأيتام (إبان بن عثمان) ونترك شيوخ المهاجرين من قريش. انظر الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٤٥٢، ٥٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص ١٠١.

المدينة[٧١]، ومكة المكرمة[٧٢]. وعندما بويع لابنه يزيد بالخلافة سنة (٦٠هـ/٦٨٠م) أجج الصراع بين بني أمية وبني هاشم، وذلك بقتل الحسين بن علي عندما ثار بسبب تحويل الخلافة من الشورى إلى الوراثة المباشرة من الأب إلى الابن فقط[٧٣].

أما الخلفاء المروانيون ابتداء من عبد الملك بن مروان الذي سمى نفسه إمام الإسلام وجنة الدين، بالإضافة فإنه كان يرى أن هذا الحكم هو حكم قبيلة قريش لا كخليفة مسلم يقوم بالشعائر الإسلامية على ما يبدو. وهذا الاعتقاد من الخلفاء السفيانيين والمروانيين لم يوافق رأي مطرف فيما رآه هؤلاء لأنفسهم سواء فيمن يكون الحاكم، أو في نظرته إلى الحكم.

أما نظرة عبد الملك إلى الحاكم "بأنه ظل ا على الأرض"[٧٤]، ففيها مخالفة كبيرة عما سار عليه الخلفاء الراشدون، ابتداء من أبي بكر الصديق الذي قال: "...، أطيعوني ما أطعت ا ورسوله، فإن لم أطع ا ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[٧٥]، وبهذا يتضح من المقارنة بين ما سار عليه الخليفة أبو بكر الصديق،وبين قول عبد الملك، أن سلطته كانت أقرب إلى الملكية منها إلى الخلافة[٧٦]. وقد اتبع عبد الملك في حكمه سياسة القوة والبطش ورشوة الناس بالأموال والمناصب لاستمالة الأعوان[٧٧]، وإن كانت هذه السياسة تدخل أحياناً في تأليف القلوب المعارضين، وذلك في سبيل تثبيت سلطان بني أمية، بدليل فعله مع رؤساء القبائل في العراق، التي كانت إلى جانب مصعب بن الزبير والي العراق لأخيه عبد ا ابن الزبير. ونتيجة هذا الاعتقاد، فقد قال عندما أصبح الأمر إليه، والمصحف في حجره، فأطبقه وقال: "هذا آخر العهد بك"[٧٨]، وفي رواية أخرى قال: "هذا فراق بيني وبينك"[٧٩]، مع أنه بالإمكان أخذ قوله بمحمل حسن، أي أن الوقت يشغله في تأسيس الدولة أكثر من التفقه في الدين.

---

٧١. خليفة بن خياط، ج١، ص ٢١٣. قال معاوية على منبر المدينة: "...، من أحق بهذا الأمر منه، أما في مكـة فاسـتعمل أسلوب الخديعة والقوة مع الصحابة الأربعة: الحسين بن علي، عبد الرحمن بن أبي بكر، عبد ا بن عمر، عبدا بـن الزبير ".

٧٢. المصدر السابق، ص ٢١٣.

٧٣. انظر الطبري، تاريخ، ج٥، ص ١٥٨.

٧٤. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ١١١.

٧٥. الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٢١٠.

٧٦. انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٨٥، ٢٣٣؛اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٧٤؛ الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٤٢٢؛ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٢.

٧٧. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٨٩-٩٠.

٧٨. السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م، ص ١٧٣.

٧٩. المبرد، الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م)، (٢جـزء)، مؤسـسة المعارف، بيروت، د. ت، ج٢، ص ١٧٢.

رؤية الحجاج والمطرف للحكم:

سار الحجاج على سياسة عبد الملك في الحجاز (سياسة الشدة)[٨٠]، وكذلك في العراق (وإن كانت أكثر شدة، لاسيما وقد أمره أن يفعل بما يرى)[٨١]، يبدو أن تعيين الحجاج في السلطة، رغم كفاءته الإدارية ما هو إلا تنفيذاً للحلف القديم بين الأمويين والثقفيين سواء قبل الإسلام أو بعده.

وفي أثناء ولاية الحجاج على العراق، علا نجم قيس على يده، وعين قائديه المشهورين محمد بن القاسم الذي فتح السند (القسم الغربي الشمالي من الهند) وقتيبة بن مسلم الباهلي على خراسان واسيا الصغرى، وابعد عنها آل المهلب من الأزد اليمانية، وحبس الحجاج يزيد بن المهلب وعزل أخوه حبيب عن كرمان، وعبد الملك بن مهلب عن شرطته[٨٢]. وذلك لربط خراسان بسلطته مباشرة ربطاً عسكرياً، لكي يبعد نفوذ القبائل وسيطرتهم عليها وعلى الأخص نفوذ الأزد التي كانت كثيرة العدد. وكان ابن المهلب يترأسها. وظهرت العصبية القبلية بين القيسية واليمانية بشكل سافر عندما تحالفت الأزد برئاسة ابن المهلب مع ربيعة بدليل قول الشاعر نهار بن توسعة التميم في يزيد بن المهلب:

تطيف به قحطان قد عصبت به وأحلافها من حي بكر وتغلب[٨٣]

لذلك كان من الطبيعي في هذا الجو التعصبي أن يكون هناك حلفاً آخر معاكس له في الاتجاه من تميم وقيس[٨٤].

ونتيجة قراراته التي أدت إلى إثارة العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية استوجبت سياسة الشدة. ولأن حركة الخوارج الأزارقة في البصرة والكوفة قد اشتد أمرها. بالإضافة إلى ثورة عبدا بن الجارود (٧٦هـ/٦٩٥م) مع قبيلته عبد القيس التي حاربت مع علي في معركتى الجمل وصفين، بالإضافة إلى وقوفها ضد اعتداءات معاوية على علي وجيشه بعد معركة صفين. وهذه الحروب مع الأطراف المذكورة تكلف الدولة أموالاً طائلة، لذلك ألغى الحجاج الزيادة التي فرضها ابن الزبير، وأقرها بعده في العراق عبد الملك بن مروان قرر إعطاء البصريين عطاء محدداً مقداره ٣٠٠ درهم في السنة[٨٥]، وقد تزامنت هذه القرارات مع ولاية مطرف للمدائن (٧٦-٧٨هـ/٦٩٥-٦٩٧م) ما جعلهم ينفرون منه ويعارضونه، ولأنه كان يقتلهم على الريبة والظن، ويأخذهم بكل صفوف العذاب، وشهد على بطشه عروة بن المغيرة بن شعبة، اخو مطرف – نائب الحجاج على الكوفة – عندما راسل عبد الملك إليه، يستخيره عن سيرة الحجاج، فكتب إليه "التجبر

٨٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٧٥؛ انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٧٤-١٧٥.
٨١. انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢١٦.
٨٢. الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٣٨٠.
٨٣. انظر المصدر السابق، (أبو جعفر)، تاريخ، ج٦، ص ٣٥٥.
٨٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٤٠٣.
٨٥. الطبري (أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢١١.

والعجلة في الأمور والتسرع إلى العذاب، والإقدام على الدماء"[٨٦]، ولكن الحجاج لم يسكت عن اتهام عروة له، فعذبه بالسياط حتى مات[٨٧]. وخلال هذه الفترة كتب الحجاج إلى مطرف رسالة قال فيها برواية عن الهيثم بن عدي عن ابن عباس الهمذاني: "إن عبد الملك خليفة ا ، وهو أكرم على ا من رسله. فوقرت في نفس مطرف، وكان يعتقد إنكار المنكر ولا يبلغ قول الخوارج[٨٨] – أي ليس بأفكار وآراء الخوارج -" وفي رواية ثانية بحديث عن عبد ا بن صالح أبو صالح المصري كاتب الليث (الراوي) عن الراوي حمزة الزيات: "بأنه سمع أن الحجاج أرسل إلى مطرف – وكان يتاله (يتعبد) – رسالة قال فيها:"يا مطرف، أرسوك أكرم عليك ام خليفتك في أهلك؟ قال فيها،" بل خليفتي أكرم، قال الحجاج، فإن عبد الملك حليفة ا في عباده، فهو أكرم عليه من ﷺ وغيره من الرسل، فوقرت في نفس مطرف واختبأها، وقال: جهادك وا أولى من جهاد الروم فخرج عليه"[٨٩]، وفي رواية عن الراوي جرير بن عبد الحميد الضبي عن المغيرة عن البزيغ بن خالد الضبي قال: "سمعت الحجاج يقول على المنبر: (خليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته فقلت: ا علي ألا أصلي خلفك أبداً، وأن رأيت قوماً يجاهدونك لأجاهدنك، فخرج في الجماجم – معركة الجماجم -، فقتل)" [٩٠]، وفي رواية رابعة عن زهير بن حرب، أبو خيثمة عن جرير بن عبد الحميد عن بزيغ بن خالد بمثله[٩١].

يتبين من تحليل الروايات ما يستوجب النظر فيها، فالروايتان الأولى والثانية قد وجهتا إلى مطرف، وفيهما يستخاص الباحث مدى تكريم الحجاج وتعظيمه لعبد الملك حتى على الرسل، وفيها شك من مطرف لاسيما بعد قتل أخيه عروة. والروايتان الثالثة والرابعة، موجهتان إلى المسلمين من قبل الحجاج، وفيهما تعظيم منزلة الخليفة عند ا ، وهذا ما نلحظه في رواية أخرى، فقد كتب الحجاج إلى عبد الملك كتاباً، يذكر فيه أن الخليفة أعظم منزلة عند ا من الملائكة المقربين إليه، فحسن موقع ذلك من عبد الملك وأعجبه وأبهاه[٩٢].

ويغلب على الظن أن مثل هذه الأقوال تستدعي الشك بها، لأن خصوم الحجاج كُثر، ولعلهم قد نسبوها إليه لتشويه سمعته، وتبرير الخروج عليه، ألم يكن عبد الملك مسلماً، وكذلك الحجاج وبالذات، كما أن مثل هذه الأقوال قد نسبت إلى خالد بن عبد ا القسري في خلافة الوليد بن عبد

٨٦. انظر البلاذري، (عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني) انساب الأشراف، ج٧، ص ٣٩٨.
٨٧. انظر المصدر السابق، ج٧، ص ٣٩٧.
٨٨. انظر المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٧.
٨٩. البلاذري، انساب الأشراف، ج١٣، ص٣٧٩.
٩٠. المصدر السابق، ج ، ص ٣٨١.
٩١. البلاذري، انساب الأشراف، ج ١٣، ص ٣٨١.
٩٢. انظر رسائل الجاحظ ، السندوبي، حسن، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخـانجي، القـاهرة، ١٩٦٥، ص ٨١، نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٤٠.

الملك عندما كان واليا على مكة[٩٣]. ويبدو أن مطرفا قد تأثر من مقتل أخيه عروة بن المغيرة لشهادة حق قالها في الحجاج، لاسيما أن عروة كان سيد ثقيف في الكوفة[٩٤]، بالإضافة إلى أنه قاتل شبيب بعد دخوله الكوفة (٧٦هـ/٦٩٥م). ويتضح أن مقتل عروة جاء بعد دخول شبيب الخارجي الكوفة في المرة الأولى (٧٦هـ/٦٩٥م) الذي قاتل فيها عروة[٩٥]، وبعد طلب مطرف من الحجاج قوة تساعده فيه على مقاومة شبيب، الذي جاء من منطقة الجزيرة والموصل نحو المدائن، فأرسل إليه الحجاج ٤٠٠ مقاتل[٩٦]. ولما كان مقتل عروة حدثاً عظيماً، أو تجبراً على عباد ا ، فقد أرسل مطرف وفداً إلى شبيب يدعوه إلى الحوار السياسي الديني بدلاً من مقاتلته، خاصة وأن شبيب وأصحابه أصبحوا علي مسافة قريبة منه، أي أنهم وصلوا إلى مدينة بهرسير[٩٧] المقابلة للمدائن وبينهما جسر دجلة[٩٨].

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان مقتل عروة السبب المباشر لما كنته نفس مطرف من ثورة على الحجاج وعبد الملك، ورأيهما في السلطة، بالإضافة إلى الأسباب السابقة الذكر؟ يبدو هكذا، وهذا ما أشار إليه ابن أبي الحديد حين قال: "أنه رأى رأياً صالحاً كاد به شبيباً حتى حبسه عن وجهه – أي لم يكن له ميل للخوارج (الصفرية) وأفكارهم خاصة في موضوع الخلافة – وذلك أنه بعث إليه أن ابعث إلى رجالاً من فقهاء اصحابك وقرائهم، واظهر أنه يريد أن يدارسهم القرآن، وينظر فيما يدعون إليه، فإن وجد حقاً اتبعه، فبعث إليه رجالاً منهم قعنب الرياحي، وسويد بن سليم والمحال بن وائل، فمكثوا أربعة أيام يقارعون بعضهم بعضاً بالحجة، ولم يتفقوا على شيء، "فلما تبين لشبيب أن مطرفاً كاده، وأنه غير متابع له، تعبي للمسير، وجمع إليه أصحابه وقال لهم: إن هذا الثقفي – الذي يظهر عدم رضاه منه – قطعني عن رأي منذ اربعة ايام، ذلك اني هممت أن اخرج في جريد من الخيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشام"[٩٩].

يبدو من قوله قطعني، أي لم يكن عند مطرف ميل للخوارج، وإن كان يود منهم مبايعته بل مساعدته في سبيل مقاومة بني أمية.

أما بشأن طلبه من شبيب إرسال فقهاء، المقصود فقهاء عندهم الحجة والمنطق – لماذا حكمهم أو رأيهم في عثمان بن عفان بأنه كافر وكذلك علي وعائشة، والحكم على الإنسان أنه مجبور في

٩٣. الطبري (برواية الواقدي، وهو ليس ثقة في قول النسائي)، (محمد بن عمر الواقدي)، تاريخ، ج٦، ص ٤٤٠.

٩٤. سأل عبد الملك الهيثم بن الأسود النخعي عن سيد ثقيف، فقال: عروة فاعترض الحجاج على ذلك، فقال: ليس هنالك ولا كرامة، نحن أعلم بقومنا منك "المزني تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، مجلد ٦، ص ٣٨-٣٩.

٩٥. انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٤٠-٢٤١.

٩٦. انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٦٧، ٣٨٥-٣٨٦.

٩٧. بهرسير: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، معجم البلدان، ياقوت بن عبدا الحموي،معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج١، ص ٥١٥.

٩٨. انظر الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٠٦.

٩٩. شرح ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج٢، ص ٨٨٧.

أفعاله أو مختار، وهذه المسائل التي كانت تشغل بال المسلمين في القرن الأول الهجري. أما القراء فهم الذين يقرأون القرآن ويفسرونه على وجهه الصحيح.

مطرف ومناداته بفكرة الشورى: ومن الأسباب المباشرة الأخرى، والمهمة التي سعى إليها مطرف، مناداته بفكرة الشورى التي سار عليها الخلفاء الراشدون والمغايرة له لما كانت تعتقده بنو أمية، بدليل قول مطرف بن المغيرة بما يخص الأمويين: "لم أر أنه يسعني إلا مناهضتهم (الأمويين) وخلافهم إن وجدت عليهم أعواناً عليهم"[١٠٠]، وهؤلاء الأعوان الخوارج (الصفرية) الذي اعتقد المطرف أنهم القوة العسكرية المفضلة لمناهضة الأمويين، لاسيما وأنهم على خلاف مع الأمويين بشأن السلطة والشورى.

ولما حضر قعنب، وسويد والمحال الممثلين لأفكار الصفرية إليه قال لهم: "خبروني ما الذي تطلبون وإلى ما تدعون" فقال سويد: "أما بعد، فإن الذي ندعو إليه كتاب ا وسنة نبيه، وأن الذي نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية، فقال لهم مطرف: ... أنا لكم على هذا متابع، وتابعوني إلى ما أدعوكم إليه ليجتمع أمري وأمركم، وتكون يدي وأيديكم واحدة، قالوا: "هات، أذكر ما تريد ...، قال مطرف: (فإني أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين، الغاصبين على إحداثهم الذين أحدثوا، وأن ندعوهم إلى كتاب ا وسنة نبيه، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين، يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب، فإن العرب (المسلمين) إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا، وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوكم، وتم لكم هذا الأمر الذي تريدون"[١٠١]. فأجاب الوفد بالرفض، رغم أنهم طمعوا فيه، رغم مناداتهم بالشورى، وقد قالوا له: "إننا لا نرى قريشا أحق بهذا الأمر منا، فكما اختارت قريش أفضلها بعد وفاة رسول ا ﷺ، فكذلك لنا أن نختار أفضلنا". وفي رواية أخرى، لأبي مخنف في الطبري عن النضر بن صالح العبسي – وهو من يثق به مطرف، ومن أصحابه: "أننا لا نرى قريشا أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب"[١٠٢]، أي أنهم لم يحصروا الخلافة في أسرة واحدة مثل قريش، وإنما جعلوها جائزة في جميع العرب وغير العرب من المسلمين، كما فعلت الخوارج الأزارقة عندما انتخبوا عبد ربه خليفة من الموالي (٧٧هـ/٦٩٦م)[١٠٣]، كذلك فعلت خوارج الأباضية[١٠٤].

الشعارات التي رفعها مطرف: استناداً إلى الحديث الذي دار بين مطرف ووفد شبيب الخارجي

---

١٠٠. انظر الطبري (أبو مخنف عن النضر بن صالح)، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٩.

١٠١. الطبري (أبو مخنف عن الحصين يزيد – وميله للعلويين)، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٦-٢٨٧؛ البلاذري (عـن هـشام الكلبي)، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٩٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٩؛ قال ابن الأثير، فبايعوني بدل تابعوني.

١٠٢. الطبري (أبو مخنف عن النضر بن صالح من أصحاب وثقاة مطرف)، تاريخ، ج٢، ص ٢٨٨؛ الـبلاذري (عـن هشام الكلبي)، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٠.

١٠٣. الطبري، تاريخ، ج٢، ص ٣٠٣، انظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٧٥.

١٠٤. الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٢٥٤.

الصفري، فقد ظهرت هناك شعارات متوافقة بينهما، وهي: "استئثار الأمويين بالفيء، وتعطيل الحدود، والتسلط بالجبرية"[١٠٥]، لذلك دعاهم مطرف إلى سياسة المحالفة لتتقوى أو تتحد هاتان القوتان بقوة واحدة، وتكون هذه الإتفاقية على أمل نجاحها مفتوحة لدخول كتل سياسية، وغير سياسية (دينية مثلا) تعمل من أجل الهدف ذاته.

وكان المروانيون أكثر حرصا على الملك والاستئثار بالخلافة من معاوية، فقد قال عبد الملك وعنده خالد بن يزيد بن معاوية، وعمرو بن سعيد العاصي (الأشدق) جالسين، قال: "إن هذا الملك عظيم، وليس من أحد يريده من ولد ولا والد،إلا كان السيف"[١٠٦]، وهو يريدهما بهذا القول. ويبدو أن طلب مطرف المساعدة أو المساندة من شبيب الخارجي وأصحابه ضد بني أمية ما هو إلا محاولة للاستفادة من كل المعطيات الموجودة، ودليل ذلك عندما حدثت الحرب بين شبيب وبني أمية قبل وصول شبيب إلى المدائن ٧٦هـ/٦٩٥م، فقد قال: "إن كنت أحب أن يظفر شبيب، وإن كان ضالاً فيقتل ضالاً"[١٠٧]، وقال الحجاج بن جارية الخثعمي (خثعم) الذي انضم إليه مع جماعة من قبيلة خثعم وغيرهم، وحارب معه جيش الأمويين المكون من قوة أصبهان والري فيما بعد فقال: "فظننت أن مطرفا تمنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتم له الذي يطلب لو هلك الحجاج"[١٠٨]. والسؤال هنا، ما الذي كان يطلبه مطرف؟ هل كانت له أطماع شخصية، أم كان له هدف سياسي من وراء ذلك؟ والجواب على ذلك، فيما صرح به مطرف عندما خذله الخوارج، حين قال: "لو بايعوني على ما أرى، وما وصفت لهم، فخلعت عبد الملك والحجاج ولسرت إليهم أجاهدهم"[١٠٩]. ولما رفضت الخوارج (الصفرية) ما نادى به مطرف من مبادئ سياسية ودينية، فقد طلبت خاصته وقادة قواته العسكرية، ... سليمان بن حذيفة المزني، والربيع بن يزيد الأسدي، والنضر بن صالح، ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة، وأنصاره أمثال سويد بن سرحان الثقفي، وبكير بن هارون النخعي الخروج من المدائن إلى مدن الجبل (حلوان، الري، الدسكرة) في بلاد فارس[١١٠]،

١٠٥. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٩٨، الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٦-٢٨٧؛ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٩.

١٠٦. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢٢٧.

١٠٧. الطبري (برواية أبو مخنف)، تاريخ، ج٦، ص ٢٩٣.

١٠٨. المصدر السابق، والجزء،والصفحة. (برواية أبو مخنف).

١٠٩. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠.

١١٠. انظر ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٩، فذكر أن أهل الري هم الذين دعوا إليهم الخوارج، وعلى الأقل هبوا لمساعدتهم ضد الحكومة الأموية، كما كانوا يساعدونهم ضد حكومة مصعب بن الزبير. الري، كورة معروفة، تنتسب إلى الجبل وليست منه، والري اقرب إلى خرسان ، البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٦٩٠، الدسكرة، موطن من مواطن الخوارج، منها خرج صالح بن مسرح الخارجي ومعه شبيب نحو جالولاء وخانقين والتقوا مع جيش الحجاج بن يوسف الثقفي بقيادة الحارث بن عميرة، فقتل صالح وأصبح شبيب قائدهم بعد المعركة (الطبري، تاريخ، ج٥، ص

لإعلان الثورة هناك. أما مطرف فقد أراد أن يقيم وينتظر نتيجة الحرب بين شبيب وعتاب بن ورقاء الرياحي، القائد الذي أرسله الحجاج، لمقاتلة التنصر، فيكون المطرف وقواته الاقوى. لكن شبيباً عاجله فأرسل إلى مطرف: "أما إذا لم تبايعني فقد نبذت إليك على سواء، فقال مطرف لأصحابه: "اخرجوا بنا وافرين، فإن الحجاج سيقاتلنا، وبنا قوة أمثل"[١١١]. وذكر أصحاب مطرف، أن بقائهم في المدائن سيشكل خطراً على أنفسهم وعلى مبادئهم إذا بلغت مسمع الحجاج بواسطة الخوارج[١١٢]، خاصة وأن ليس لمطرف قوة عسكرية ظاهرة، بالإضافة إلى أن الخوارج لن يبايعوه[١١٣]، بدليل قول سليمان المُزني من نصائحه: "أنهم لن يبايعوك وأنك لن تبايعهم"[١١٤]، وهذا دليل على أن مطرفا ليس على مذهب الخوارج (الصفرية)، ولا على رأيهم السياسي الديني في الحكم. ولذلك علماً بأن هؤلاء الخوارج في أخريات الدولة الأموية في عهد مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية (١٢٩هـ/٧٤٦م)، فقد اقتنعوا بسياسة مطرف ضد الحكم[١١٥]. لقد خرج مطرف ثائرا من المدائن إلى مدينة الدسكرة – من الجبل من بلاد فارس- التي تشتهر بزراعة النخيل والزروع المختلفة، ومعه البعض الذين أحبوه من كان تحت إمرته من قوات الدولة الأموية، الأربعمائة مقاتل بقيادة سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف، وعبد الملك بن كناز النهدي الذين بعثهم الحجاج لمطرف لمحاربة شبيب[١١٦]، وهناك اخبرهم بثورته وخلع عبد الملك والحجاج بن يوسف ممثلي السلطة الأموية، كما اخبرهما برأيه في الحكم، وهو أن الخليفة بعد نجاح ثورته (يكون أمره شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا)[١١٧]، بالإضافة إلى إعلان رأيه السياسي، المذكور آنفاً، علماً بأنه ما وضح لهم في حركته ما هو إلا تلبية لداعي الجهاد، فقد قال: "فإني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور"[١١٨]. يتبين من هذا القول، أن مطرفاً قد بين شرعية قتال بني أمية، كما اظهر التطبيق العملي لمبدأ الشورى للحاكم والمحكومين، أي أنه جعل حرية الرأي للناس في اختيار من أحبوا من الأشخاص من قريش ليكون خليفة المسلمين

---

٨٦)، وهي مدينة كان يسكن بها ملوك الفرس سابقاً، الطبري، ج٢، ص ٢٢٩. حلوان، وهي من آخر حدود السواد فيما يلي الجبال من بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٥١٥.

١١١. الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٩.

١١٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٠؛ الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٦١؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، ج٤، ص ١٧٩.

١١٣. الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٨٩.

١١٤. المصدر السابق، والجزء والصفحة.

١١٥. الطبري، تاريخ (برواية أبو مخنف)، ج٧، ص ٣٤٨-٣٥٣.

١١٦. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٦٧، ٢٨٦.

١١٧. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٠، الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٩٠، الزركلـي، الأعـلام، ج٧، ص ٢٥١.

١١٨. الطبري (برواية أبو مخنف)، تاريخ، ج ٦، ص ٢٩٠.

ليستقيم أمر الأمة، وهذا المبدأ السياسي تعتمده الدول المتقدمة في الوقت الحاضر. وبموجب ما طرحه مطرف من حرية الرأي في إتباع هذا المبدأ أو ذاك، فقد صدقه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف ومن معه بعض أفراد القوات العسكرية التي بعثها الحجاج إلى مطرف قوله، ورجعوا إلى الحجاج بدون إيذاء، أو أي اعتراض عليهم من قبل مطرف وأصحابه[١١٩]، ويبدو أن أفكار أو مبادئ مطرف وممارسته المطابقة لمبادئه قد لاقت قبولاً في مدن الجبال الأخرى ماه دينار (نهاوند)، قم، قامشان، حلوان،... ففي حلوان – آخر حدود السواد ما يلي الجبال[١٢٠]، وكان عليها سويد بن عبد الرحمن السعدي الذي اظهر معارضته لمطرف، بحيث لا يظهر متقاعساً عن القتال أو متشدداً فيه، ربما خوفاً من ثورة أهل المنطقة عليه، وانضمامها إلى مطرف[١٢١]، أو أنه لا يرغب في قتاله، فقال سويد: "فإنا لا نريد قتالكم"[١٢٢]، بدليل طلب الوالي من مطرف الرحيل عن مدينته شرقاً وقال له: "ألزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا حتى يسمع ويسمع الحجاج أنا خرجنا إليك"[١٢٣]، فاستجاب مطرف ورحل عنهم إلى مدينة ماه دينار (نهاوند)، إلى اليسار من همذان، أي رفض دخول همذان، ومن هناك بعث إلى أخيه حمزة والى همذان بعث إليه بطلب المعونة من المال والسلاح[١٢٤]، ومن همذان انضم إلى مطرف، الحجاج بن حارثة الخثعمي في ثلاثين رجلاً من قبيلة خثعم، وشهد معه القتال مع سويد بن عبد الرحمن السعدي والى حلوان وماسبذان[١٢٥]، عندما جاءه يزيد بن أبي زياد، مولى المغيرة بن شعبة يطلب منه المساعدة والعون بالمال والسلاح، فأمده سراً. يبدو أن مجيء يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة كان قبل ابتداء القتال الصوري في حلوان بدليل انضمام الحجاج بن حارثة (حارثة)، الخثعمي إليه، وهو في حلوان، وعندما جاءه يزيد، فأمده سراً، ثم تأسف مطرف[١٢٦]، ربما لأن عسكره علموا بذلك، أو ربما خوفاً من الضعف الشديد الذي يعتري جماعته عندما يعلمون عدم أهليته للقتال لنقص المال والسلاح، أو ربما خوفاً على أخيه حمزة والي همذان من قبل الحجاج. ولما لم يلق مطرف التجاوب الشعبي من همذان ربما لنفوذ قبيلة بني عجل من بكر بن وائل (ربيعة) وللضعف الشديد

---

١١٩. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٩٠، وذكر الطبري أن مطرفاً قال لمن كان معه: "أني اشهد ا أني خلعت عبد الملك والحجاج، فمن أحب منكم صحبتي وكان على مثل رأي فليتابعني، فأن له الأسوة وحسن الصحبة، ومن أبى فليذهب حيث شاء فأني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور".

١٢٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٠، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٨٠.

١٢١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠١، الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٩٠-٢٩١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٩.

١٢٢. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص٢٩١، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠١.

١٢٣. المصدر السابق، والجزء والصفحة، المصدر السابق والجزء والصفحة ذاتها.

١٢٤. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠١.

١٢٥. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص٢٩١ حسب رواية أبو مخنف عن عبدا بن علقمة الخثعي.

١٢٦. انظر، المصدر السابق، ج ٦، ص٢٩١-٢٩٣، ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٧٩-١٨٠.

في حضور قبيلة ثقيف، لاسيما وأنها توالي الحجاج الثقفي أكثر من مطرف[١٢٧]، لذلك اتجه مطرف ناحية إلى قم، وقاشان وهذه الأخيرة قرب أصفهان، أهلها كلهم شيعة إمامية[١٢٨] وبعث عماله إلى تلك النواحي لبحثهم على إعلان الثورة على بني أمية، فأتاه الناس بأعداد هائلة[١٢٩] تجمعهم الأهداف السياسية لأن معظمهم من أيد مطرف كان من القبائل اليمنية، بدليل مجيء بكر بن هارون النخعي من الري في نحو مائة مقاتل من قبيلة النخع اليمنية، وغيرهم الكثير[١٣٠]. ولما رأى البراء بن قبيصة الثقفي من قبيلة ثقيف الموالية للحجاج – عامل الحجاج على أصبهان تأييد الناس لمطرف والتفافهم حوله[١٣١]، كتب إلى الحجاج يعرفه حال مطرف وثورته ومدى خطورتها، فأجاب الحجاج بإرسال كتاب أو أمر إلى عدي بن زياد الآيادي، عامل الري (قصبة بلاد الجبال على طريق السابلة)، يأمره بالقضاء على مطرف وحركته بالاشتراك مع عامل أصبهان (البراء الثقفي وبإمارة عدي على الجيش[١٣٢]، وذلك لأن الري اكبر في عدد السكان من أصبهان بكثير، بالإضافة إلى ذلك فقد بعث الحجاج الإمدادات العسكرية إليهما من أهل الكوفة (ألف مقاتل)، ومن أهل الشام (١٦٠٠ مقاتل) حتى وصل العدد قريباً من ستة آلاف مقاتل[١٣٣]. وقبل نشوب القتال بين الطرفين، نادى مطرف جيش الأمويين وذكرهم بظلم الحجاج وعبد الملك فكذبوه[١٣٤]، وقد انتهت المعركة بقتل مطرف واحتز عمر بن هبيرة الفزاري رأسه (من القبائل القيسية)، وعمر هذا تربطه علاقة نسب مع الأمويين، فجدته الصهباء بنت حرب بن أمية، أخت أبو سفيان، وبالإضافة كان عمر شريفاً بالشام، وذكر الطبري أنه قتله وقتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة، وكان الأخير صاحب راية مطرف[١٣٥].

---

١٢٧. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص٢٩٤.

١٢٨. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٩٦-٢٩٧.

١٢٩. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص٢٩٣، ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٧٩-١٨٠.

١٣٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٢، الطبري، تاريخ، ج ٦، ص٢٩٤.

١٣١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٢، وذكر عدي بن وتاد الابادي، الطبـري، تـاريخ، ج ٦، ص٢٩٤-٢٩٦.

١٣٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٢، الطبري، تاريخ، ج ٦، ص٢٩٨، ابن الجوزي، أبـو الفـرج عبـد الرحمن بن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ/١١٩٨م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١٩ مجلد، م٦، تحقيق محمد عبد القادر عطا مصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٩٢، ١٩٣، وذكر سعيد بن جبير بدير الجماجم، ص ٨٢ بظلم (الحجاج وعبد الملك)، البلاذري، أنـساب الأشـراف، ج١٣، ص ٣٧١.

١٣٣. المصدر السابق، والجزء والصفحة (البلاذري)، الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٢٩٨.

١٣٤. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٤٠٢-٤٠٣، الطبري، تاريخ، ج ٦، ص٢٩٨-٢٩٩، ابن الجـوزي، أبـو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ/١٢٩٨م)،. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلميـة. بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢، ج٦، ص ١٩٢- ١٩٣.

١٣٥. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٩٥، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٨٠.

أسباب فشل هذه الحركة: لما لم يملك مطرف من مقومات التنظيم والإعداد العسكري الكافي، بدليل طلبه المال والسلاح من أخيه حمزة، ولكثرة تنقله من مدينة إلى أخرى، وطلبه من الناس الانضمام إلى ثورته، وربما لقلة عدد قوات حركته، لم يتمكن من إحداث عصيان مسلح، أو ثورة شاملة ذات أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية، لذلك استطاع الحجاج القضاء على ثورة مطرف بشكل سريع، وهذا يدعو للسؤال هل خرج مطرف بناء على خطة معدة أصلاً أم دفعاً من الخوارج. يبدو الجواب على ذلك، أن تمرد المطرف كان بدافع الثورة على الظلم والانحراف على حد قوله[١٣٦]. وأكد ابن حزم فقال: "اخرج المطرف من أبناء المغيرة على الحجاج منكراً لجوره"[١٣٧]، وقد قال النضر بن صالح جليس مطرف بن المغيرة وأحد قادته العسكريين، حسب رواية أبي مخنف في الطبري: (أن مطرفاً عمل عملاً حازماً لولا أن الأقدار غالبة)[١٣٨]. أي ربما قصد لو انضم أخوه حمزة بن المغيرة وأيده وأمده بالرجال لكان الأمر أفضل، لأن حمزة وهو بهمذان كان أثقل ما خلق ا على الحجاج "مخافة أن يمد أخاه بالسلاح والمال"[١٣٩]، وربما بالرجال أيضاً. لكن كيد الحجاج في عزل حمزة ثم سجنه، ثم قتله، من قبل قيس بن سعد العجلي من ربيعة صاحب شرطته، قد أتاح له فرصة القضاء على مطرف، لاسيما وأن بني عجل (ربيعة) اظهروا الاستعداد والرغبة للقضاء على مطرف وحركته[١٤٠]. هذا من جهة مطرف وأخيه حمزة، أما من جهة الحجاج فقد سارع إلى إرسال الجيوش للقضاء على حركة مطرف، لاسيما وأن القبائل اليمنية[١٤١] (خثعم، النخع، بجيلة، الأزد...) قد ساهمت في تلك الثورة، لاسيما وان هذه القبائل اليمانية تجمعها السبع في تخطيط الكوفة وهذا يشكل تحالفاً قوياً بينها. ويكمن الخطر الأكبر عندما تنظم القبائل اليمنية بصورة أوسع، بالإضافة إلى أن المنطقة قد انتشرت فيها الثورة وهي منطقة المعارضة لبني أمية، سواء من الشيعة أو الخوارج (دسكرة، حلوان، قم وقاشان، أصبهان، الري)[١٤٢]، تكره السلطة الأموية، لاسيما وأن أهل منطقة أصبهان والري قد تقاسمتها الأهواء بين الشيعة

---

١٣٦. انظر ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ٧٩.

١٣٧. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج١، ص ٢٦٧.

١٣٨. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٩٥.

١٣٩. المصدر السابق، والجزء والصفحة ذاتها.

١٤٠. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٩١، ١٩٣، انظر ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٨٠.

١٤١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٨٩-٩٠، انظر ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٧٩-١٨٠.

١٤٢. انظر البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، عدد الأجزاء ٣، تحقيق علي محمد البيجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١، ص ٨٧. الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٦١٩، فالرى دعوا الخوارج إليهم لمساعدتهم ضد بني أمية. وأما أصبهان فيوجد فيها الحمراء (الموالي) التي أسلمت منذ بدايات الفتوحات الإسلامية في البصرة، والموالي أصبحوا في عداء مع الحجاج وقادته. وأصفهان موطن الخوارج في عهد علي (الطبري، تاريخ، ج ٤، ص

والخوارج[١٤٣]، وكانتا على عداء مع بني أمية[١٤٤]، كذلك كانت المنطقة زراعية، كثيرة الخيرات، ترفد الدولة بأموال طائلة من الأموال الخراجية[١٤٥]، بالإضافة إلى تلك الأهمية الإستراتيجية لمنطقة أو إقليم الجبال الذي كان يخترقه طريق القوافل المعروف بطريق خراسان. وكان يمر في حلوان وهمذان وساوه (مدينة في منتصف المسافة بين همذان والري)، ثم أتجه شمالاً إلى الري، ثم يتجه هذا الطريق شرقاً إلى قومس ومنها إلى خراسان[١٤٦]، "المنطقة التي نبتت فيها المعارضة للحكم الأموي وأدت إلى سقوط دولتهم بعد الانضمام القبائل اليمنية إليها"[١٤٧].

النتائج: لما كانت المدة الزمنية بين ثورة مطرف سنة (٧٧هـ/٦٩٦م) وبين مقتله (٧٨هـ/٦٩٧م) أقل من سنة، لذلك لم يكن هناك وقت كاف لأن تؤتى فيه حركته أكلها لاسيما، ومن تبعها من مدن (همدان، حلوان، الري، الدسكرة، نهاوند، آمد، أصفهان،...) المعارضة للحكم في أكثر الأحيان. رغم فشل حركة مطرف السياسية والإصلاحية، إلا أن مبادئها قد أثرت في مختلف فئات الأمة. وقد أثرت في عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين، الذي وقف حائلاً دون استئثار بني أمية بالحكم في عدة مجالات، كذلك في فئات الناس المذهبية، الشيعة والخوارج، فمن الشيعة عبد ا بن معاوية... بن جعفر بن أبي طالب، الثائر العلوي الذي أيده الشيعة والخوارج والذكوانية، وبني هاشم، وبني أمية سنة (١٢٨هـ/٧٤٦م)، ضد السلطة الأموية وأيضاً عبد ا بن يحيى (طالب الحق) من الخوارج سنة (١٢٨-١٢٩هـ/٦٤٧-٧٤٦م)، وقد وقف إلى جانبه أهل اليمن، وعمان، وفئة من أهل مكة والمدينة، إلا أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد قضى عليه. كانت ثورة مطرف بادرة إصلاحية، نشأت في قلب السلطة التي ينتمي إليها والده المغيرة بن شعبة أحد كبار العاملين في الإدارة الأموية في العراق، آخر رموزها.

---

٨٦). وفي سنة (٦٥ هـ/٦٨٥م)، انصرفت الخوارج نحو كرمان وأصفهان، والمهلب قاتلهم في عهد الزبير وانتصر عليهم.

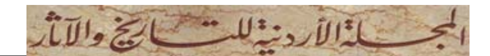
١٤٣. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٣٠١-٣٠٣، ج٧، ص ٣٧١-٣٧٢.

١٤٤. انظر البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٦٥١، انظر عبد الأمير دكسن، الخلافة الأموية، دراسة سياسية، ساعدت جامعة بغداد على نشره،ط١، دار النهضة العربية بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٣٠١-٣٠٢.

١٤٥. انظر كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية واضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية واثرية ووضع فهارسه بشري فرنسس كوركس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٦٢.

١٤٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص ٧٩.

١٤٧. المصدر السابق، الجزء والصفحة.



The Political Reform Movement of al-Muttaraf bin al Muggera bin Shu'uba and Its Impact on the Umayyad Caliphate in the Second Half of the First Century (76H/695AD-78H/697AD)

*Shehab Ashyyab**

ABSTRACT

This paper examines the effects of the movement of Al-Muffaraf bin Al-Muggera bin Shu'uba, in which he sought to reform the political system of the Umayyad Caliphate. How successful was it? A relative of Abu Sufian, and before he converted to Islam, Al-Muttaraf was a distinguished figure in the caliphate, and was known for his loyalty to it, especially during the period between the death of Abu Taleb (the uncle of Mohammed) and the conquest of Mecca in the year 8 H/628. In consequence of his high position in the court, and aided by his family ties, Al-Muttaraf and his brothers Urwa and Hamzeh were appointed to the government of the caliphate of Abd Al-Malek bin Marwan (654-686 AD). Despite this position of importance, Al-Muttaraf undertook to start a political reform movement against the regime because of his dissatisfaction with its policies, values and procedures – an undertaking which eventually cost him his life. His consolidation of the basic rules of reform is encapsulated in two signal achievements: (1) the implementation of the concept of Shuura in choosing the Muslim Caliph, and (2) greater freedom of expression and the formation of a loyal opposition.

Keywords: Pillage, Determinisim, Quran readers, Al-Rawafed, Al-Khawarej, Al-Safreye, Al-Abadeye.

* Dept. of History, Faculty of Arts, Al-Yarmouk University.
Received on 7/4/2008 and accepted for publication on 11/9/2008.